

تاريخهم من لغتهم

أطلنطة

عبدالحق فاخيل

هذا جانب من وصف ذلك (الطوفان) المدمر
الذي اغرق البشرية ، كالذي جاء فى ملحمة
قلقميش (1)

والشطران الموضوعان بين قوسين (...) هما
من اضافاتي لشرح المعنى الذى كان معروفا لدى
القاريء البابلي الذى له نظمت الملحمة فلم يجد
مؤلفها ضرورة لايضاحه . والذى يهمننا هنا ، فى
هذا الحديث القريب موضوعا والمعجيب نتيجة ، هو
(ايراقال) الذى يرد اسمه فى المصادر الانكليزية
(Irragal) ، وهو عند البابليين . الاله مياه العالم
السفلي التي تحسبها دعائم او اعمدة ، وكأنهم كانوا
يتصورونها مثل دعائم السدود والخزانات تقام لحبس
مياه السيول والانهار . وكان اقدام هذا الاله
السفلي الشربير على قاع تلك الاعمدة هو تفسير زيادة
مياه الانهار عندهم وارتفاعها عن المستوى المعقول
احيانا ، ايام الفيضان كل عام . وكثيرا ما كان انفتاح
السدود يفرق القرى والزرورع كما شهدنا مرارا فى
الثلاثينيات والاربعينيات ، قبل بناء السدود المهمة
الاخيرة التى الجمت واسرجت دجلة والفرات ايام

فحين لاحت للبصر
اولى طلائع السحر
انبعثت من اصل افق السماء
غمامة سوداء
فى جوفها يلعلع الرب « ادد »
يسعى امام فيه « خانيش » و « شولات »
ليندرا بين يديه فى السهول والجبال
واقطلع الدعائم الاله « ايراقال »
(فانها ماء العالم السفلي)
وجاء بعده « نرتسا »
(رب الوغى ، بعزمه القوي)
وفتق السدود ...
وزمجرت
عواصف الجنوب ، يوما اكملنا
احتدمت
حتى طفى هبوبها العاتي ففطى الاجبلا
فتتك فتكا بالنفوسى
هوجاء كالحرب الضروسى !
ولم يعد اخ يرى اخاه ..

... الخ

(1) ملحمة شعرية بابلية ، سبق التنويه بها فى حاشية موضوع « عشتار » فى العدد الماضى .
ولكاتب السطور كتاب عنوانه « هو الذى رأى » يتضمن ترجمة شعرية للملحمة تتقدمها دراسة
عنها .

هياجهما . وما دامت دعائم السدود الفوقية هذه قوية محكمة لم يعد يهنا اقتلاع دعائم المياه السفلية التي تسبب فوران الانهار .

ويبدو ان وليمي بمقارنة الالفاظ وتمحيص معانيها واستعراض متشابهاتها قد ابتلاني بحساسية خاصة لا شعورية في بعض الالفاظ ، فما سمعت عيني كلمة (ايراقال) ، اعني ما وقعت عليها عيني وتحسستها اذني ، حتى قفز الى ذهني اسم هرقل (Herakles) بالاعريقية و (Hercules) باللاتينية) . لكنني في العادة سرعان ما انبذ الاهتمام بالتشابه اذا لم اجد صلة معنوية تربط بين اللفظين . اما الشبه بين (ايراقال) و (هرقل) فلم استطع ان انبذه بهذه السهولة لان شيئا آخر قفز معه الى ذهني هو « اعمدة هرقل » Pillars of Hercules بالانكليزية و Hercules columnae باللاتينية) .

واذا لاحظنا ان اقدم اسماء هرقل على اختلاف صورها في اللغات الاوربية هو الاسم الاغريقي (هراكلس Herakles) الشبيه جدا باسم (ايراقال Irragal) البابلي لم يسعنا الا ان نتساءل جادين : هل اعمدة هرقل هي نفسها اعمدة ايراقال ، او هل هي مقتبسة منها ؟ هل هي اعمدة مائية ؟

ان اعمدة هرقل ليس لها تعريف واضح محدد، وانما يطلقها بعضهم على جزيرتين او اكثر في المحيط الاطلسي بالقرب من جبل طارق . ويطلقها بعضهم على جزيرتين او اكثر في البحر المتوسط بالقرب من جبل طارق ايضا . ولا يدري احد سبب هذه التسمية .

ثم قفزت الى خاطري مسألة اخرى . كنت قرأت في كتاب عربي ان هذا المضيّق كان يقوم عليه جسر بأعمدة يعبر عليه الناس والدواب !

ومسألة رابعة . لترك المسألة الرابعة الآن، لكي نعود اليها حين يجيء دورها في تفسير غرق (اطلنطة) الذي تجرنا اليه ذكرى الطوفان البابلي .

اطلنطة (Atlantis أو Atlantica) - قارة او جزيرة أسطورية كانت في المحيط الاطلسي ، كالذي رواه افلاطون نقلا عن بعض قدامى الكتاب . وخلاصة العروف عنها ان كهنة مضربين تحدثوا الى (صولون) عن تاريخ غابر لامته فقالوا له ان اعظم

مأثر اثينة قاطبة هو دجرها لجزيرة اطلنطة التي يجدون في مدونات لهم قديمة ، انها كانت قبل تسعة آلاف عام - من ذلك العهد - دولة عظيمة تقع قبالة اعمدة هرقل ، ويروى امتدادها على مجموع ليبية وآسيا الصغرى . وقد كانت ممرا الى جزر اخرى وقارة اخرى ، وكان البحر المتوسط مجرد ميناء لها . وتمتد امبراطورية اطلنطة من الاعمدة حتى مصر وتيرهنيا (Tyrrhenia) . ويقول الكهنة المصريون « ان هذه الدولة القوية كانت قد عبأت قواتها ضد مصر وهيلاس (Hellas) - اليونان - وجميع الاقطار المحاذية على البحر المتوسط . وعندئذ دحرتها مدينتك بشجاعة ، فذاعت شهرتها في الارض قاطبة . فقد قامت، معرضة حتى وجودها للهلاك وقد تخلى عنها الهيلانيون الآخرون ، بصد الغير فوهبت الحرية عن طواعية لجميع الامم الواقعة ضمن الاعمدة . وبعد ذلك بقليل حدث زلزال عظيم ففاز كل قومك الصناديد في الارض واختفت جزيرة اطلنطة كذلك في البحر . وهذا هو تفسير الضاحض التي توجد في ذلك الجزء من المحيط الاطلسي » .

وتقول المعلمة البريطانية - ط 9 - عام 1875 ! - التي استقيننا منها هذه المعلومات ان هذي هي المادة الاساسية لحكاية الجزيرة كما رواها القدامى، وهي حكاية ان لم تكن خيالية بجملتها فهي تعود الى اشد اصقاع التاريخ غموضا . ولعل القصة تجسد اسطورة شعبية ، ولعل الاسطورة قائمة على ظروف تاريخية معينة ، اما ماذا كانت هذه (الظروف) فمن المتعذر البت فيه الآن » .

لكننا نستبعد القول بانها اسطورة شعبية لان الاغريق الذين تخصصهم الحكاية احرياء عندئذ ان يكونوا قد سمعوا بها خلال ذلك العهد المتناول . هذا الى ان الكهنة الذين رووها قالوا انها من مدوناتهم ، لا من الاساطير المتداولة . ويصدق قول المعلمة فقط اذا قلنا ان تلك المدونات القديمة نفسها تعتمد على اسطورة شعبية .

اما طبعة عام 1960 - الحديثة - من المعلمة البريطانية فتشكك في صدق افلاطون نفسه حيث تقول « ويتمذر البت الى اي مدى تعتمد هذه الاسطورة على اختراع افلاطون والى اي حد تقوم على وقائع لم يبق تسجيل عنها » .

« المحيط الاطلسي » من جهة وانها « تمتد من اعمدة هرقل حتى مصر » من جهة اخرى . فكيف نوفق بين هاتين القالتين ؟ كذلك سبق ان امتدادها « يربو على مجموع ليبيا وآسية الصغرى » .. فما الداعي الى مقارنة اطلنطة بهاتين الرقعتين الكبيرتين من الارض فى شرقي البحر المتوسط وهي واقعة فى المحيط الاطلسي ؟

كذلك غرق الاثينيين - فى البحر المتوسط طبعاً - لا يتفق مع اسم اطلنطة الذى هو اقرب الى اسم المحيط الاطلنطي او الاطلسي منه الى اسم اي بحر آخر .

ثم ما معنى قول الرهبان المصريين ان ائينة بدحرها جيوش اطلنطة « وهبت الحرية لجميع الامم الواقعة ضمن الاعمدة » ؟ فهل كانت هناك اعمدة لهرقل تحيط بالنظر الاثيني وعدد آخر - يبدو انه عدد كبير - من الاقطار ؟ .

هنا ياتي دور الحقيقة الرابعة التي خطرت لي مع اعمدة هرقل وكان نصيبها الارجاء حتى الآن .

يقول الجغرافيون ان البحر الابيض المتوسط كان ارضاً يابسة تصب فيها الانهار من اوربة وافريقية اللتين كانتا من ثم متصلتين وان جبل طارق كان يمتد بينهما فى أقصى الغرب منهما كالجسر ، أو بالحري انه كان يقوم بوجه مياه المحيط الاطلسي كالسد . ثم حدثت تقلبات ارضانية من الزلازل فانفتق الجبل وانقسم ، فتدفقت مياه المحيط الاطلنطي من ذلك الخرق العظيم الذى نسميه الآن مضيق جبل طارق فأغرق ارضاً شاسعة هي التى تسمى الآن بالبحر الابيض المتوسط .. فانفتحت القارتان اللتان كانتا رتقاً .

واذن فان كان لاسطورة اطلنطة نصيب من الصحة فلا بد انها كانت فى منطقة هذا البحر الابيض المتوسط ، لا فى المحيط الاطلسي .

وتشابه العقائد بين شعوب العالم القديم فى كثير من الكليات وبعض الجزئيات ، مثل عبادة الشمس والنجوم والظواهر الطبيعية .. يدل على أن عقيدة الاعمدة التى تحجز المياه ويحكمها الاله ، قد كانت شائعة أيضاً منذ ذلك العهد السحيق يفسرون بها

والطبعة القديمة - الائمة الذكر - اقرب الى الانصاف والمنطق حين تعزو الشك فى صدق الاسطورة الى تقادم العهد وطبيعة المأثورات الشعبية بدلا من اتهام افلاطون باختلاق الرواية من اساسها .

ومهما يكن فقد اثارت المسألة مجادلات طويلة فكذبها قوم لهم وزنهم وصدقها قوم لهم وزنهم . لكن كاتب المادة فى هذه الطبعة الحديثة من المعلمة اميل الى التكذيب حيث يقول كالمستنكر حتى فى القرنين السابع عشر والثامن عشر كان صدق الاسطورة يناقش فى جد ، وفى تصديق أحيانا حتى من قبل مونتايين (Montaigne) وبفون (Buffon) وفولتير (Voltaire) !

ومما اضعف الحكاية واوهى حجتها كثرة الاساطير الشبيهة بها - والمنشقة منها فيما نخال - منذ اودية هوميروس التى وردت فيها قصة شبيهة عن جزيرة الفاياقيين (Phaeacians) . وقد اهتم الباحثون بعد عصر النهضة بتحقيق اسطورة اطلنطة ، وقال بعضهم انها امريكة ، وآخرون اسكندناوية ، او الكناري .. وقال بعضهم انها فلسطين !

وارتأى بعض الاعراقيين (1) أن اخلاف اولئك الاطلنطيين المرفقين هم الباسكيون أو قدامى الايطاليين أو غيرهم .

لقد انكر الكثيرون وجود اطلنطة لكن احدا من المنكرين لم يستطع أن يدعم انكاره ببرهان مقبول . وقد ايد الكثيرون صحة وجودها لكن احدا منهم لم يتمكن من اثبات تأييده بدليل معقول . فهل فى وسع اللغة ان تساعفنا ولو ببصيص من النور فى هذه المناهة المظلمة ؟

ارشدتنا اللغة الى الشبه بين اسم هرقل وايراقال ، والى دعائم هذا واعمدة ذلك . وقد جرنا الطوفان الذى احده قلع اعمدة ايراقال واغرق البشر فى العراق الى ذكرى تلك الجزيرة او القارة التى اغرقها الزلزال فى المحيط الاطلسي . فهل لهرقل علاقة ما باغراق اطلنطة ؟ هل قلع هو الآخر دعائمه فاهلك تلك الامبراطورية المتجبرة ؟

ان اسطورة اطلنطة هذه تفرقتنا بدورها فى بحر من الغموض والتناقضات . فقد سلف انها تقع فى

(1) تقصد بهم علماء الاجناس او الاعراق البشرية « ethnologists » وتترجح لعلم الاعراق البشرية « ethnology » مصطلح « الاعراقيات » على غرار الارضانيات لعلم « الجيولوجية » .

فيضان الانهار . واذن فهذا الجبل المنقسم هو المقصود بأعمدة هرقل ، لا الجزر القريبة منه شرقا أو غربا . واذن فالإلاه هرقل هو المجرم الذي قلع أعمدة مياهه فأغرق اطلنطة وبعض المناطق المحيطة بها مثلما كان إيراغال يرتكب جريمة قلع أعمدة المياه السفلية في الرافدانية كل عام فيحدث الفيضان الذي يتقونه بالسدود الكثيرة المنتظمة ، الا اذا فتق الإله الحرب (نرتا) بعض السدود فيغرق الاراضي الفيحة أحيانا ، وذات مرة بالإضافة الى تفتيقه السدود أغدق الإلاه (أدد) مياه العالم العلوي أيضا فحدث الطوفان الأكبر الذي أغرق العالم كله وأهلك الحرث والنسل .

كان هرقل الإله عند الاغريق ، أبوه جوبيتر ، وأمه (ألكمينة Alcmena) . وكان اسم (هرقل) يطلق كذلك على بطل اغريقي أنجز اثنتي عشر فعلة يتعذر إنجازها على البشر العادي . لكن المعلمة البريطانية - ط 1960 - تقول ان هرقل ، أشهر أبطال الاغريق ، لا يمكن ان يكون الإله في الاصل لان اسمه الاغريقي (Herakles) ربما كان يعني « العظيمة المجيدة من هيرة Hera » ، لانه لم يكن للاغريق قط الإله يتركب اسمه من اسم الإله آخر . « فعمل رجلا حقيقيا ، أو رئيسا .. يكمن وراء أسطورة هرقل البالغة التعقيد » - (مادة Hercules) .

بعد الذي رأينا لا نستطيع ان نطمئن الى صحة هذا التأثيل القائم على تجزئة الاسم لمجرد الشبه اللفظي الذي وجوده بين اسم هيرة والنصف الاول من اسم هيراكلس - بالرغم من علمهم بمخالفة هذا التأثيل لطريقة الاغريق في تسمية آلهتهم . بل يقلب على الظن ان الاسم منقول بتمامه من اسم (إيراغال) او من اسم آخر كان أثلا لكليهما .

وشبهه بهذه التسمية المنقولة اسم (لاتو Lato) أم ديانة وأبولو ، اللذين أنجبتهما من جوبيتر أيضا .

وهو نفسه بدون تحريف أو تحوير ، اسم اللات باللغة الباشورية (1) . ويسمى اللاتين (لاتونة Latona) أيضا . ومن فرط افتتانهم باللات وتقديسهم إياها سموا من باب التبرك والتشريف على ما يظهر - ولديها من جوبيتر هذين باسمين مشتقين من اسمها بالإضافة الى اسميهما الأصليين ، وهما (لاتويوس Latoius) : أبولو ، و (لاتوية Latoia) او (لاتوية العذراء Latoia virgo) : ديانة (2) .

فهذا الذي تقدم هو الذي يبرر لنا الى حد ما أننا رجحنا كون اسم (هيراكلس) مقتبسا بكامله ، غير مجزا . أطلقه الاغريق على الإله الدعائم المائية اولا ثم على البطل الانسان ، الاغريقي المشهور .. لا كما ذهب اليه كاتب المعلمة البريطانية من ان « شخصا حقيقيا أو رئيسا .. يكمن وراء أسطورة هرقل البالغة التعقيد » .. التي زادها ذلك التأثيل الخاطيء من اسم هيرة تعقيدا . وتسمية الأشخاص البشر بأسماء الآلهة مألوفة منذ القدم ، منها تسمية بعض الملوك الرافدانيين نستشهد منهم باللاهين اللذين مر ذكرهما في اطلاق بلاء الطوفان وهما (أدد Adad) : الإله الزوابع والريعود والأمطار ، و (نورتا Ninurta) : الإله الحرب .

أما التناقضات التي مر حديثها عن موقع اطلنطة فتنحل مشكلتها بمجرد قولنا انها كانت في البحر المتوسط ، لا في المحيط الاطلسي كما توهم الأقدمون الذين خدعتهم مشابهة اسم هذا المحيط لاسم تلك لجزيرة . والذي يهديننا اليه التأثيل ان أسماء اطلنطس (Atlantis) واطلنطيقا (Atlantica) والمحيط الأطلنطي (Atlantic) ترجع الى أثل واحد هو الصحيح الصريح وتعني (اطلس) ، وهو اسم عربي خالص يدل على قدم اكتمال اللغة العربية وسعة امداء انتشارها في ربوع العالم القديم .

- (1) اللغتان البابلية والآشورية متقاربتان لان الشعبين بطنان من قبيل واحد . وحين استولى الآشوريون على بابل اتخذوا اللغة البابلية الفصحى - أي الرسمية - لغتهم الرسمية والثقافية ، وتكونت على مر الزمن لغة قوامها مزاج من اللغتين يسميها علماء الرافدانيات اللغة « البابلية الآشورية » . ونقترح ادماج الاسمين اختصارا في اسم واحد هو (الباشورية Babissyrian) .
- (2) ويحتمل بالإضافة الى ذلك ان يكون اسم « لاتو » أو أحد مشتقاته أثل كل من «لاتيوم Latium» أي الموقع الذي تقوم عليه مدينة روما ، و «لاينيوم Latinium» أي اللاتيومي (اللاتيني) واللغة اللاتينية .

والأطلس (Atlas) اسم أطلقه الإغريق على الإله
يسند الأعمدة الباسقة التي تستقيم الأرض والسماء
منفصلتين ، ثم مسخه الإله (بيرسوس Perseus)
جيلا صخريا عقابا له على سوء استقباله . لكن الذى
نخمنه أن العكس هو الصواب أي أن الاسم كان يطلق
أولا على جبل أطلس ثم مسخته الأسطورة الأها . . على
عادة الأساطير مع الجبال الأخرى والانهيار والأبصار
والأشجار والأحجار . وامتداد جبل أطلس حتى المحيط
الأطلسي هو الذى جعل هذا المحيط يسمى أولا
« البحر الأطلسي » ثم « المحيط الأطلسي » ، نسبة
إلى الجزء العربي الأخير ، المجاور للمحيط ، من هذه
لسلسلة الجبلية الطويلة .

وهذا أيضا يؤيد أن أطلنطة كانت فى البحر المتوسط
لأن جبال أطلس موازية ومحاذية له ، فمن المعقول عندئذ أن
تسمى هذه الجبال باسمها . وهو من جهة يفسر قول
أولئك الكهنة أن امبراطورية أطلنطة كانت تمتد من
الأعمدة حتى مصر وبيرونية ، ويوحى إلينا من جهة
أخرى أن أرض أطلنطة ربما كانت تتضمن هذه السلسلة
من الجبال أي أنها لم تفرق كلها طبقا لحدودها
السياسية بل غرق الجزء المنخفض الأهم الماهول أو
الزردحم بالسكان منها ومن بعض الأقطار المجاورة لها ،
فقال الأسطورة أنها غرقت كلها ، كما أن الفيضان
النبالي أغرق جزءا كبيرا من جنوبي العراق . فقالت
أسطورتهم أنها أغرقت العالم كله . فعلى هذا ربما يمكن
القول أن بعض أراضي المغرب العربي الكبير - من
ليبية إلى المحيط - كان جزءا من امبراطورية أطلنطة

ويذكر القاري أن الكهنة قالوا لصولون أنه بعد
حدوث الزلزال العظيم « غار كل قومك الصناديد فى
الأرض ، واختفت جزيرة أطلنطة كذلك فى البحر .
وهذا هو تفسير الضحاح التي توجد فى ذلك الجزء
من المحيط الأطلنطي » .

إن النصف الأول من هذه العبارة يؤيد كذلك
كون أطلنطة فى البحر المتوسط لأن قوم صولون
الصناديد فيه تقع بلادهم . وأما تلك الضحاح « فى
ذلك الجزء من المحيط الأطلنطي » فلا نعرف المكان
المقصود به لكننا واثقون أن أمم هذا المحيط مقحم هنا
فى غير موضعه بسبب مشابهة الاسم التى ضللت
الرواة منذ قديم الزمان . غير أنه يمكن تطبيق
الضحاح على بحر ايجة الذى يكتنف أرض اليونان
وعلى الأرخييل بوجه عام .

ومما يستأهل الذكر هنا أن الباحثين المحدثين
قد وجدوا بقايا من طمي دلته النيل فى ذلك الأرخييل
قرب اليونان ما يشيء أن هذا النهر كان ينصب هناك
ذات زمان ، أي أن أرض مصر كانت تمتد حتى
الأرخييل الأيجي قبل الفرق . وذلك تأييد أي تأييد
لقول الكهنة العلماء أن أطلنطة كانت قد عبأت قواتها
ضد مصر وهيلاس ، لأن امتداد الأرض المصرية حتى
السواحل اليونانية يعنى طبعا أنهما كانتا متجاورتين .

وقد تساءلنا آنفا عن معنى كلام الكهنة عن تحرر
جميع الأمم الواقعة « ضمن الأعمدة » ، الذى يوهم
ظاهرا أن هناك أعمدة كانت تحيط بمدد غير قليل من
الأقطار . فالآن نجيبنا حقيقة انفتاح جبل طارق عن
تسألنا . فالمقصود هو جميع الأقطار التى تقع ضمن
المنطقة التى أغرقها اقتلاع الأعمدة ، أو البحر الذى
لا منفذ له إلى المحيط الأطلنطي غير تلك الأعمدة التى
انقمت وزالت وبقي اسمها يطلق على مكانها .

وأما نعت أطلنطة بالقارة تارة وبالجزيرة طورا من
قبل الكهنة أنفسهم فالظاهر أنها تسمية متأخرة .
سميت قارة تعبيرا عن اتساع رقعتها ، وسميت
جزيرة على اعتبار أنها كانت فى المحيط الأطلسي .

لكن العجب العجيب هو شأن أولئك الباحثين
الذين شخصوا الأرض المفرقة بأمرية واسكندناوية
والكناري وفلسطين ، بعد عصر النهضة . ولم تذكر
المعلمة حجة كل منهم . لكن هذه أراض موجودة لا
مفقودة ، ويجوز أن يقال أن زازالا قد أبرزها من البحر
لا أن يقال أن زازالا قد أغرقها فى البحر .

وأما قول القائلين أن جسرا كان يقوم على مضيق
جبل طارق فوهم صراح ، لأن العالم المتحضر لم
يستطع حتى اليوم أن يقيم جسرا على مثل هذا المضيق
البحري العريض .

لكن هذا الوهم قد سببه فيما يظهر أن بعضهم
صار يسمى المضيق نفسه « أعمدة هرقل » فأول ما
يخطر على بال سامع هذه التسمية هي دعائم الجسر ،
فخالوا أن جسرا كان وزال . وحين يكون جسر يعبر
الناس ، والدواب أيضا .

ونعود إلى قول الكهنة أن تاريخ أطلنطة يرجع إلى
تسعة آلاف عام قبل عهد صولون ، فهذا لا نشك فيه
لأن الحضارات وتأسيس الامبراطوريات الضخمة
والجيوش المعبأة المنظمة الجرارة لم تكن قد ظهرت فى
ذلك التاريخ البعيد . ولا نستطيع نحن تحديد تاريخ

ولو تقريبي ، لاننا لا نعرف متى وقع الزلزال الوخيم .
وانما هم الارضانيون الذين يسمعون ان يفثونا فسي
معرفة ذلك . لكن الواضح ان الرقم (9000) المبالغ
فيه يتفق مع طبيعة الاساطير والتواريخ الموهلة في
القدم ، التي كثيرا ما يداخلها الخلط والتزيد ، حتى
لو كانت قائمة في اصلها على حقائق من الواقع ..
كالذي نراه حتى في (تواريخنا) المعاصرة .

الارجح عندنا اذن ان اسم (اطلس) قد كانوا
اطلقوه على اطلنطة نفسها اول مرة ، ثم انتقل الى
سلسلة الجبال الموازية لها ، او التي كانت ضمن
امبراطوريتها او حدودها كالذي نوهنا به قبل ، ومن
ثم انتقلت التسمية الى المحيط الاطلسي .

ومعنى (الاطلس) في عربيتنا الباقية : الاغبر
الى سواد . واصله فيما نعتقد : الاسود ، وهذا امله
المظلم ، من قولهم طلس البصر : ذهب ، وائله طمس
البصر او النجم : ذهب ضوءهما ، اي اظلما . ومثل
ذلك دلس ودمس ... (وقد ورد تأثيل هذه الالفاظ
وتجانس معانيها في موضوع « دخيل ام ائيل » في
مكان آخر من هذا العدد من «اللسان العربي») .

ويبدو ان تلك الارض انما سميت بالاطلس كناية
عن خصبها على غرار تسمية العراق « ارض السواد » .

وانذي يرجح ذلك ويؤيد ان الاقدمين كانوا
يطلقون السواد على الارض المخصاب لشدة خضرتها
هو ان قدامى المصريين ايضا كانوا يطلقون نفس الاسم
على بلادهم .

ومعلوم ان العرب كثيرا ما كانوا يذكرون بعض
الالوان مكان بعض على المجاز او الاستعارة ، ومن ذلك
اطلاق السواد على خضرة الزروع بوجه عام حتى صار
قولهم « سواد البلدة » يعني ما حولها من الريف
والقرى (1) .

فاسم قارتنا المفقودة اذن هو (اطلس) على ما
يبدو لنا من تسلسل تطور الكلمة ، ثم اطلقت على

الجبال المغربية الموازية لها ، او الداخلة ضمن منطقتها
على الارجح ، او المعينة لحدودها الجنوبية . وقد
سمها الاجانب اطلنطس (Atlantic) ، ثم سموها
المحيط الاطلسي (Atlantis) نسبة اليها ، ثم هم عادوا
الى القارة فسموها اطلنطيقية (Atlantica) نسبة الى
هذا المحيط ، الذي حسبوها غرقت فيه .

كان الاغريق يسمون الثور tauros او اللاتين
يسمونه (taurus) وهو اسمه العربي الواضح . حتى
زيادة السين في آخر الاسم سبق ان ائناها في العربية
(في عدد سابق من «اللسان العربي» وفي كتابنا
«مغامرات لفوية») . وكان القومان - الاغريق
واللاتين - كلاهما يطلقان الاسم على جبال طوروس .
وربما كان ان الذين بدؤوا هذه التسمية قوما اقدم كثيرا
من اللاتين والاعريق ، اي قوما كانوا يتكلمون العربية ،
او كانوا يتكلمون لغة اقرب الى العربية من الاغريقية
التي تدل الملابس اللغوية على انها هي الاخرى كانت
في عهدها الاولى اقرب الى العربية .

فمن اجل هذا وامثاله من القرائن يسعنا القول ،
انه لا يستبعد ان يكون هذا شان الذين اطلقوا اسم
(اطلس) على الارض التي التهمها البحر المتوسط ،
بمعنى الارض السوداء .

ولو اتسع بنا الوقت ومصادر البحث لاتينا
بالكثير من التسميات الاوربية القديمة التي تتائل في
العربية . ولعل لنا عودة الى تفصيل ذلك اذا تيسرت
لنا الفرصة ذات حين . ويكفينا الآن ان نقول مثلا
ان اسم فرطبة Corduba باللاتينية) الذي
اظة (قريت طيبية) اي البلدة الطيبة (2) ، كما سماها
بناتها الكنعانيون (الفينيقيون) (3) .. وكما يقول
الباحثون .. يذكرونا باسم (ثيباي Thebae) الذي كان
الاعريق يطلقونه على مدينة (طيبة) في مصر العليا ،
وعلى مدينة ثانية في (بويوتية Boiotia) اسماها
قدموس الكنعاني ، وعلى مدينة ثالثة في (ساليبة

(1) من امثلة خلط العرب الالوان بعضها ببعض تسميتهم الاسود اخضر - على العكس مما تقدم - في
مثل قولهم « اخضر شاربه » اي اسود ، واصل المعنى نبت . كذلك قولهم « القبة الخضراء » اي
الزرقاء ، و « زرقاء المنايا » اي سودها . والبغداديون يقولون ان الخوخ مثلا « ازرق » اي اخضر ،
فج لما ينضج .

(2) جاء في الآية : « بلدة طيبة ورب غفور » مما قد يدل على ان هذا التعبير كان مالوفا ومستحبا عند
العرب ، ومن ثم سموا به قرطبة ، وغيرها ايضا فيما نظن .

(3) يراجع فصل لنا في المصدرين المذكورين عن تسمية « فنيقية » .

التي سمي فيها فريق آخر منهم ذلك الربع الفريق
(اطلسس) .

ولنزد الامر غرابة وتطلباً للتأمل وانعام النظر
فنقول لعل اسم (تايوان) (I) - اي جزيرة فرموزة
كما سماها البرتغاليون الفاتحون - ايضا من هذه
الفئة فهو قريب من اسم (تيب) ولاسيما اننا سمعنا
من أحد الصينيين ان اسمها يعني الأرض او الجزيرة
الجميلة !

فمن من قرائنا الكرام نتاح له الفرصة لمعاونتنا في
التحقق من هذه وتلك ؟

فيثيوتيس (Thesalia Phthiotis) ، وعلى بلدة رابعة
في (ميسية Mysia) وهي التي دمرها أخيل .

وان كان بعض هذه المدن حديثا كنعانيا كتلك
التي بناها قدموس في بويوتية فلعل (طيبة) مصر
وبعض الاخريات أقدم عهدا من ذلك بأحقاب كثيرة ،
ولعلها معاصرة لقارة اطلس .

ولولا خشيتنا الاغراق لقلنا ان بلاد (التيبت
Tibet) في احضان هملاية ايضا قد تكون من هذه
المجموعة الأعرابية ولاسيما اذا كان الاسم يعني في لغتهم
قديما او ما زال يعني الطيبة او الحسنه ، او ما الى
ذاك . فان صح هذا كان لنا ان نستنتج ان فريقا من
العرب سموا التيبب بالطيبة ربما في نفس الحقبة

(I) ان الحروف B و W و V .. كثيرا ما يحل بعضها محل بعض في مختلف اللغات . وفي الفارسية
ينطق الواو باء في بعض الالفاظ مثل كاب وكاو : بقرة . لهذا تنطق تايوان في الفارسية
مثلا : Tayban و Tayvan .